أشهر المفتين من أهل الشام

• **ومن أهل الشام:**

رجاء بن حيوة الكندى - رضى الله عنه -

ولد رجاء بن حيوة فى "بيسان" من أرض "فلسطين".. وكانت ولادته فى أواخر خلافة عثمان بن عفان أو نحو من ذلك.. وكان ينتمى إلى قبيلة "كندة" العربية.

وعلى هذا فرجاء "فلسطينى" الوطن.. عربى الأصل.. "كندى" العشيرة.

وقد نشأ الفتى الكندى فى طاعة الله منذ حداثة سنه، فأحبه الله وحببه إلى خلقه.. وأقبل على طلب العلم منذ نعومة أظفاره فوجد العلم فؤاده غضاً طرياً خالياً، فتمكن منه، واستقر فيه.

وجعل همه الأكبر النهم من كتاب الله، والتزود من حديث رسول الله ﷺ .

فاستضاء فكره بنور القرآن.. واستنارت بصيرته بهدى النبوة.. وامتلأ صدره بالموعظة والحكمة.. ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً.

وقد أتيح له أن يأخذ عن طائفة كبيرة من جلة الصحابة من أمثال: أبى سعيد الخدرى،وأبى الدرداء، وأبى أمامة، وعبادة بن الصامت..ومعاوية بن أبى سفيان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والنواس بن سمعان، وغيرهم.

وقد وزر[1] رجاء بن حيوة لطائفة من خلفاء بنى "أمية" ابتداء من عبد الملك ابن مروان، وانتهاء بعمر بن عبد العزيز.

لكن صلته بسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فاقت صلاته بمن سبقهما من الخلفاء.

وقد أدناه من قلوب خلفاء بنى "أمية" رجاحة فى رأيه.. وصدق فى لهجته.. وإخلاص فى نيته.. وحكمة فى معالجته الأمور.. ثم توج ذلك كله بزهده بما فى أيديهم من عرض الدنيا مما كان يتزاحم عليه المتزاحمون.

وقد كان اتصاله بخلفاء بنى "أمية" من عظيم رحمة الله بهم، وجزيل إكرامه لهم.

---

(١) وزر: صار وزيراً.

فلقد دعاهم إلى الخير، ودلهم على طرقه.. وثناهم[١] عن الشر، وأوصد دونهم أبوابه.. وأراهم الحق وزين لهم اتباعه.. وبصرهم بالباطل وكره إليهم إتيانه.. فنصح لله ورسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ولما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك كان لرجاء بن حيوة عنده شأن يفوق شأنه عند سابقيه.

فقد كان سليمان عظيم الثقة به، شديد الاعتماد عليه، حريصاً على أن يأخذ برأيه فى صغير الأمور وكبيرها... ومواقف رجاء بن حيوة مع سليمان بن عبد الملك كثيرة مثيرة.

بيد أن أكبرها شأناً وأعظمها على الإسلام والمسلمين خطراً، موقفه من أمر ولاية العهد، وأثره فى البيعة لعمر بن عبد العزيز.. ونصحه للخليفة سليمان بذلك واستجابة الخليفة له وكان عمر بن عبد العزيز نعم الاختيار.

فطوبى للخليفة سليمان بن عبد الملك، فقد أبرأ ذمته أمام الله بتوليته الرجل الصالح، وهنيئا لوزير الصدق رجاء بن حيوة الذى كان نصحه لوجه الله تعالى ولصالح المسلمين.

وقد قال عنه مطر الوراق: ما رأيت شاميا أفقه منه، وقال مكحول بن أبى مسلم: رجاء سيد أهل الشام فى أنفسهم.. رحم الله عالمنا الكبير الذى استضاء فكره وبصيرته بنور القرآن وهدى السنة والذى وافته المنية سنة ١١٢هـ.

* * *

(١) ثناهم عن الشر: صرفهم عن الشر.

عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه -

في مصر، وفي حلوان، ولد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن أبى العاص ابن أمية القرشى الأموى التابعى العظيم وذلك سنة إحدى وستين هجرية.

حفظ القرآن الكريم وهو صغير، وأرسله والده إلى المدينة ليحفظ السنن، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة .. وقد ولى إدارة المدينة زمنا فى خلافة الوليد، ثم قدم الشام سنة ٩٣ وبويع بالخلافة سنة٩٩ ﷺ .

سمع الحديث النبوى: من أنس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام، وخولة بنت حكيم وغيرهم.

وروى عنه كثير من التابعين منهم: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم، والزهرى، ويحيى الأنصارى، وكان رضى الله عنه محبا للحديث شغوفا به، كبير العناية بالسنة حفظا وتدوينا.

وكان ثقة، حجة، حافظا، شهد له العلماء بالحفظ والأمانة، حتى لقد كان يقرن بالزهرى فى علمه.

وقد حدث عنه على بن الحسين قال: " أخبرنى خارجة بن مصعب عن ابن عون عن مجاهد قال: المهادى سبعة، مضى خمسة، وبقى اثنان. قال خارجة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز – رضى الله عنهم-.. أى هؤلاء هم الخمسة الذين مضوا".

وحدث أبو عبيدة السرى بن يحيى بن أبى هنادين قال: سمعت قبيصة بن عقبة يقول: سمعت سفيان الثورى يقول:الخلفاء خمسة:أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز – رضى الله عنهم-".

ويعتبر كثير من العلماء والكتاب عمر بن عبد العزيز المجدد الأول للإسلام على رأس المائة الأولى من الهجرة.. ويالها من منزلة سامية.

فالواقع[1] أن الفترة القصيرة التى قضاها الإمام العادل عمر بن عبد العزيز فى خلافته، كانت عودة مباركة إلى هذا العهد النبوى المشرق الذى استضاءت أنواره على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وعلى عهد الخلفاء الراشدين الأربعة -رضوان الله عليهم أجمعين-.

---

(١) من كتاب(عمر بن عبد العزيز) دكتور أحمد الشرباصى.

وإذا كنا نرى الخيرات والبركات تفيض على أيدى هؤلاء الأربعة الراشدين، فيجب أن نتذكر ذلك التمهيد الطويل الذى قام به الرسول صلوات الله عليه، ليجعل الطريق لمن بعده معتدلا مستقيما، ومن هنا أقبل كل خليفة من هؤلاء الأربعة ، فاستقام وتابع، وزاد فى الخير.

ولكن عمر بن عبد العزيز جاء فى فترة عصيبة: ظهرت فيها طوائف وأحزاب، ونبتت خلالها فتن ومحن، واتسعت الفجوة بين الحاكمين والمحكومين، وتحدث الناس عن المظالم والمآثم.. فإذا بعمر يقبل إقبال الفجر الصادق: فيرد المظالم، وينصف المظلومين، ويؤدب الخارجين، وينشر السلام والأمان والإحسان بين جميع الناس.. فلا عجب أن يجعله المؤرخون خامس الخلفاء -عليه رضوان الله-.

أما عن مواقفه الرائعة فحدث ولا حرج.. فقد كانت للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، مواقفه الحاسمة فى إقرار الأمن والعدالة واتخاذ أدق الأساليب وأحكمها فى إدارة شئون الدولة.

ولقد كان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يحرص أشد الحرص على نشر السنة وتبليغها، وتعليمها للناس، وكان يكتب إلى عماله أن يجروا على طلابها والمشتغلين بالعلم الرزق وأن يفرغوهم لطلب العلم.

وكان يريد ذلك حتى لا يشغلهم طلب الرزق والسعى على المعاش عن طلب العلم، حتى يعنوا بالعلم عناية فائقة، وحتى يتمخض طلبهم له،وحفظهم وحرصهم واستيعابهم للعلوم والأحكام والسنن، وحتى لا تضطرهم مطالب المعاش إلى الخروج والسعى، والبحث والتعب فيأخذ كل هذا من أوقاتهم الكثيرة، فهو يرى أن توفير معاشهم وتفرغهم لطلب العلم سوف يجعلهم يتقنون العلم أشد الإتقان.

ولعله بهذا يكون أول من أجرى راتبا وشجع طلاب العلم ، ولهذا المسلك الكريم مثيله فى الأزهر الشريف الذى أجرى لطلاب العلم راتبا يشجعهم على الطلب وهو ما كان يسمى قديما بـ " الجراية".

عن يحيى بن أبى كثير، قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن أجروا على طلبة العلم الرزق، وفرغوهم للطلب".

وكتب إلى والى حمص يقول له: "انظر إلى القوم الذين نصَّبوا أنفسهم للفقه، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين، حين يأتيك كتابى هذا. وإن خير الخير أعجله والسلام عليك".

وكتب إلى واليه فى رسالة أخرى:" مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث..".

وكان لعمر بن عبد العزيز الفضل فى تدوين الحديث النبوى تدوينا رسميا عندما أصدر أمره إلى علماء الآفاق ليجمعوا الحديث ويدونوه.

روى البخارى- فى باب : "كيف يقبض العلم":

"وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن حزم:

انظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبى ﷺ ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا".

وكان أول من لبى أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بتدوين السنة هو الإمام ابن شهاب الزهرى، ثم كثر التدوين بعد ذلك.

وهكذا تتضح لنا همة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وعنايته بالسنة النبوية وتدوينها، وعنايته بطلاب العلم والحديث.. وهى عناية فجرت النهضة الحديثية فى مصر وفى سائر الأقطار الإسلامية.

رحم الله عمر بن عبد العزيز فقد كان نعم العالم والخليفة العادل حتى اعتبره الكثيرون خامس الخلفاء الراشدين وجزاه الله خير الثواب على دوره فى الحفاظ على سنة نبيه ﷺ .

* * *